سماحة الشيخ أحمد حسين البخيتان :علاج قسوة القلب (القسم الثالث)

أعوذ باﷲ من الشيطان الرجيم ، بسم اﷲ الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين خير الخلائق أجمعين من بُعث رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة والعذاب الأليم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

قال تبارك وتعالى :

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)

آمنا باﷲ صدق اﷲ العلي العظيم .

لا يزال كلامنا موصولاً بما تقدم في الأسبوع السابق ، وهو الحديث عن علاج قسوة القلوب ، وذكرنا الأسباب لقسوة القلوب ، ثم بدأنا في ذكر العلاج لهذه القسوة للقلوب ، وذكرنا علاجين وهما :

١- التوبة إلى اﷲ تبارك وتعالى ، وقلنا بأن الإنسان يطهر وينظف قلبه من الذنوب ؛ حتى يكون هذا القلب محلاً ومكاناً للطف اﷲ تبارك وتعالى .

٢- قراءة القرآن الكريم :

وفي هذا اليوم أيضاً إكمالاً لهذا العلاج - وهو قراءة القرآن الكريم - القرآن الكريم أيها الإخوة الأعزاء هو كتاب اﷲ تبارك وتعالى ، وهو كتاب هداية ، وهو كتاب يُعبر ويظهر عظمة صاحب هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد أشارت الأخبار والأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بأن قراءة القرآن له دور في علاج قسوة القلوب ، يعني يحي القلب ، ويجعل هذا القلب قلباً مفعماً بالإيمان ، ومفعماً بالثقة باﷲ تبارك وتعالى ، ومن هذه النصوص :

١ - ما وردعن النبي محمد (صلى اﷲ عليه وآله): (لا تغفل عن قراءة القرآن ، فإن القرآن يحيي القلب) ، فعندما يعيش الإنسان أجواء القرآن ويتدبر معاني القرآن فإن ذلك يحي قلبه ، وإذا حيا القلب بالنتيجة أنّ القلب يخشع ويخضع ﷲ تبارك وتعالى ، والقرآن الكريم ليس له تأثير على القلوب القاسية فحسب ، بل حتى المكان الذي يُقرأ فيه القرآن يتأثر بقراءة القرآن الكريم ، يقول تبارك وتعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) إشارة إلى أنّ الكائنات الجامدة التي نراها أنها جامدة ولكنها تُسبح اﷲ تبارك وتعالى ، فلو أُنزل هذا القرآن على الجبل الأصم لرأيناه خاشعاً وخاضعاً ﷲ تبارك وتعالى ،

فمن باب أولى أنّ هذه القلوب تكون خاشعة ﷲ تبارك وتعالى ، إذا كان المكان يتأثر فيكون هذا المكان أو هذا البيت محلاً لعناية ولطف اﷲ تبارك وتعالى ، ويكون محلاً لرحمة اﷲ تبارك وتعالى ، فالإنسان لما يجعل بيته ومكانه فيه القرآن الكريم فإن البركات والرحمات واللطف الإلهي والنظرة الإلهية تكون محل عناية لذلك البيت ولأصحاب ذلك البيت.

ورد عن رسول اﷲ (صلى اﷲ عليه وآله) : (البيت الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب) يعني البيت الذي لا يـُقرأ فيه القرآن ، والقرآن مهجور ، فهو بيت خرب لا حياة فيه لا روح فيه - وإن كان في هذا البيت أشخاص وعامر بأهله ولكنه إذا نظرنا بعين الإيمان نجد أن ّهذا البيت في واقعه هو خراب بيت مظلم بيت موحش - وبالنتيجة هذا البيت المظلم الموحش البعيد عن القرآن الكريم سوف يترك أثراً سلبياً على أهل ذلك البيت ، فتكون قلوبهم قلوباً قاسية وميتة ؛ فإذن القرآن الكريم هو ربيع القلوب وإذا حل الربيع في مكان ترى الحياة ترى النشاط ترى الحيوية ، كذلك القرآن الكريم يجعل القلوب قلوباً حية ، فالقرآن الكريم ربيع لتلك لقلوب ، والربيع هنا إشارة إلى الحياة ، إلى النشاط ، إلى الحيوية في ذلك القلب .

فإذن نحتاج إلى أن نعيش في بيوتنا وأن نعود أبناءنا على أن يرتبطوا بالقرآن الكريم ، ولو سورة ولو صفحة واحدة ، نربي أبناءنا ونربي أنفسنا على أن نعيش مع أجواء القرآن ، فيكون لنا ورداً وزماناً نقرأ فيه القرآن ، حتى تحل البركة ، وينظر اﷲ تبارك وتعالى لبيوتنا نظرة عطف ، ورحمة ، ورأفة منه تبارك وتعالى ، بل ورد في بعض الأخبار الواردة عن محمد وآل محمد (صلى اﷲ عليه وإله) أن ّالبيت الذي يقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء ، لأنه عامر بكلام وذكر اﷲ تبارك وتعالى .

في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : " البيت الذي يقرأ فيه القرآن ، ويذكر اﷲ عز وجل فيه ، تكثر بركته ، وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب لأهل الأرض ، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر اﷲ عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين " .

إذن البيت إذا كان محلاً للقرآن الكريم فإن ذلك يكون محلاً لعناية ولطف اﷲ تبارك وتعالى .

وتارة يكون هذا البيت خالياً عن القرآن الكريم ، لا يـُقرأ فيه القرآن الكريم ، فتقل بركته ، وتحضره الشياطين ، ولا ينظر اﷲ إليه بلطف عنايته ، لكن المصيبة الأعظم والأدهى أن هذا البيت الذي لا يـُقرأ فيه القرآن تجد فيه الغناء والطرب فيكون محلاً وعشاً لحضور الشيطان - فتارة بيت لا يقرأ فيه القرآن ولكن في المقابل تسمع الغناء والطرب في ذلك البيت - والنتيجة ترتفع بركة اﷲ تبارك وتعالى عن ذلك البيت ، فترى الأحزان ، والمصائب ، والبلاء في ذلك البيت بسبب الغناء والطرب ، وهذا ما أشار إليه أهل البيت (عليهم السلام) ، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : " بيت الغناء لاتؤمن فيه الفجيعة ، ولا تجاب فيه الدعوة ، و لا يدخله الملك) .

فنجد صاحب الغناء والطرب ، من مصيبة ، إلى بلية ، إلى محنة ، إلى مشاكل ، فيكون الغناء سبباً

لفجيعة أصحاب ذلك البيت ، وربما الإنسان لا يدري ولا يعلم ما هي أسباب المشاكل التي يعيش فيها ، فتراه يخرج من مشكلة ، ويقع في أخرى ، يصاب ببلاء ومحن ، ولعل السر في ذلك بسبب الغناء والطرب الذي يعيش فيه ذلك البيت .

وقد نهانا أهل البيت (عليهم السلام) أن ندخل بيوتاً ا معرض عن أهلها ، إذا كان هذا البيت أو هذا المكان ا معرض عنه يعني رفع لطفه ، ورفع عنايته، ورفع بركته عن ذلك البيت فيكون بيتاً مغضوباً عليه من قبل ا تبارك وتعالى ، فالإنسان لا يدخل ذلك البيت ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : " لا تدخلوا بيوتا ا معرض عن أهلها "؟و الإعراض إشارة إلى أن ا تبارك وتعالى ، لا ينظر بلطف ، ولا ينظر بتوفيق ، ولا برحمة لذلك البيت ، فإذن القرآن الكريم له أثر على إحياء القلوب ، والغناء واللهو والطرب له أثر على إماتة القلوب ، لأن هذا القلب إذا كان فيه اللهو والطرب يعيش الإنسان الميوعة ، يعيش في هذه الأجواء ، فلا يُقبل على ا تبارك وتعالى في عبادته ، وفي دعائه ، وفي مناجاته ، بل ربما لا يوفق لذلك بسبب سوء اختيار الإنسان لهذا الأمر ، وأيضا أشارت الروايات بأن الغناء يؤثر على إماتة القلوب ، بل ربما يؤدي إلى النفاق والعياذ با ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : " الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء الزرع " فالغناء طريق إلى وجود النفاق في القلب ، فإذا حل النقاق مات القلب وقسا، فكما أن هناك أسباب مادية لتوفيق ا تبارك وتعالى كذلك هناك أسباب غيبية - (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) - فربما يبذل الإنسان الأسباب المادية ويسعى ويتحرك وينسى التوفيق الإلهي ، والأمور الغيبية ، لذلك ا سبحانه وتعالى يقول : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)

فهناك أسباب طبيعية من أجل تحصيل الرزق ، وهناك أسباب غيبية ، كذلك أيضاً في المقابل الأمور السيئة المعاصي والذنوب فإذا كان هناك أسباب مادية بسبب هذه الذنوب أيضاً هناك أسباب غيبية ، يقول تبارك وتعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) – فربما الإنسان يصاب ببلاء لعله يرجع إلى ا تبارك وتعالى – فإذن نريد أن نقول بأنَّ القرآن الكريم يكون سبباً لعلاج قسوة القلوب ، ويكون هذا القلب قلباً خاشعاً ، ، فإذا وقف للصلاة إذا وقف للدعاء إذا وقف للمناجاة ترى الإنكسار وترى الإقبال على ا تبارك وتعالى ، ورد عن النبي محمد (صلى ا عليه وآله) : (نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن)

فهناك ضياء معنوي لوجود القرآن في تلك البيوت ، ويقول (صلى ا عليه وآله) : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل يا رسول ا وما جلاؤها ؟ قال: قراءة القرآن وذكر الموت).

نسأل من الله تبارك وتعالى أن يجعل قلوبنا عامرة بطاعته ، وعامرة بذكره .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، وطبيب نفوسنا ، وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا ، ومغفرة لذنوبنا إنك على كل شيء قدير . وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

للاستماع اضغط هنا